خالتنا إم محمود

طلبت منّي ابنتي قبل يومين أن تستعير سيّارتي للذّهاب إلى العمل، وافقت على ذلك رغم أنني بحاجة للسيّارة، فنحن نعمل المستحيل من أجل أبنائنا. طبعًا هذا الأمر أبقاني بدون سيّارة. قرّرت أن أطلب سيّارة أجرة من مكان قريب من مكان سكني، للذّهاب إلى عملي في غرب القدس، بالتّحديد بمنطقة دير ياسين، وهي منطقة يهوديّة الآن.

بالفعل اتّصلت بالمكتب وأخبرته عن وجهتي. واتّفقنا على السّعر. وأخبرني أنّ السّيارة ستكون عِندي خلال خمس دقائق لا أكثر.

بعد دقائق معدودة سمعت "زامور" السّيارة آذنًا بقدوم سيّارة الأجرة. تعجّبت من الدّقّة في المواعيد فليس هذا من عاداتنا.

حملت حقيبتي وخرجت من البيت، لكنّي لم أرَ أثرًا لسيارة أجرة بسقفها ذي القبّعة الصّفراء. بدل ذلك رأيت سيّارة قديمة يجلس بداخلها رجل في منتصف العمر.

"طلبتم تاكسي؟" بادرني سائلًا. "نعم أنا قد طلبت، مين حضرتك؟". "أنا السّائق" قالها وقد نفذ صبره.

"لكن أنا طلبت تاكسي، وهذه سيّارة عاديّة وغير مرخّصة كسيّارة أجرة". برّرت استغرابي وعدم رضاي عن قدومه.

"يا أستاذ خلّينا نترزق، إنت شايف الوضع الاقتصادي تعبان. على كل حال هذه هي السّيّارة الوحيدة المتوفّرة. إذا كنت مستعدًا للانتظار فبإمكاننا إرسال سيّارة مرخّصة بعد نصف ساعة".

كنت مستعجلًا ولا وقت لديّ للانتظار فرضخت مُجبرًا وصعدت للسّيّارة على مضض.

مشى بنا السّائق عدّة أمتار والتفت إليّ قائلًا: "أنت تعرف يا أستاذ أنني سائق غير مرخّص، يعني استر علينا وإذا لقينا شرطي وسأل عنّي فأنا اسمي حسن يحيى من القدس في البلدة القديمة، وإنّه أنا وأنت أولاد خالات لتبرير اختلاف أسماء العائلة، وأننا ذاهبان لزيارة خالتنا إم محمود في مستشفى الأمراض العقليّة في دير ياسين".

"حسن يحيى؟! البلدة القديمة؟! خالتنا إم محمود؟!".

"توكّل على الله، ربنا يجيب الي فيه خير".

أخذت أردّد طول الطّريق اسم السّائق ومكان سكنه وخالتنا إم محمود والمستشفى..

سبحان الله، صحيح، كما توقّعتم! مشينا عشر دقائق وإذا بشرطي يشير لنا بالوقوف.

"إلّي حسبنا حسابه صار، خليك هادي وتصرّف بصورة طبيعيّة". قال لي حسن يحيى من البلدة القديمة، ابن خالتي الذي يرافقني لزيارة خالتنا إم محمود.

كان الشّرطي عربيًّا وطلب الرخص والتّأمين من السّائق. كما يبدو أنّ الشّرطي لديه شكوك بصدده.

نظر الشّرطي إليّ نظرة شك وارتياب. ونظر إلى ملابسي وحقيبتي. "هل تعرفه؟" بادرني الشّرطي بالسّؤال.

"حسن يحيى، من البلدة القديمة في القدس، ابن خالتي ونحن ذاهبان لزيارة خالتي إم محمود بالمستشفى". رددت ذلك مسرعًا.

ضحك الشّرطي وقال: "حافظ الدرس شكلك؟!".

ثم توجّه إلى السّائق قائلًا: "هو بعرفك منيح، طيب مين هو؟!" لم يخطر ببالي أن أقول للسّائق من أنا، ولا هو سألني! أحسست أننا قد وقعنا بالفخ الذي نصبه لنا الشّرطي.

"كيف لا أعرف ابن خالتي يعني؟! إنت جاي تتهبل علينا؟! بتعرف شو؟! بديش أحكيلك واعمل اللي بدك ياه". صاح السّائق، عفوًا ابن خالتي.

"خلص يحيى، قصدي حسن احكيله إنّي أيمن ابن خالتك وخلّينا نخلّص" قلت له مستجديًا.

"عليّ الطّلاق ما بحكيله إنك أيمن وإذا مش معجبك إنزل وروح عند خالتي إم محمود لحالك". صرخ السائق بأعلى صوته محتدًّا.

"خلص يا جماعة هدّوا حالكم فش حاجة للعصبيّة، خذ أوراقك وتسهّلوا!". قال الشّرطي محاولًا تدارك الأمر.

"لأ والله خلص خليه يروح لحاله، يأخذ تاكسي". قال ابن خالتي المحترم.

فتحت باب السّيّارة ونزلت منها، ومشيت على أمل أن أجد سيّارة تاكسي جديدة.

بعد عدّة أمتار وقف حسن بسيارته بمحاذاتي وفتح شبّاك السّيّارة وقال: "اسمع بدك تأخذ تاكسي جديد فش مشكلة، لكن أنا جبتك نصف الطّريق ولازم تدفعلي." نظرت إليه نظرة كلها غضب وحقد: "روح من هون، ولا قرش! أقولك شو؟! روح عند خالتك إم محمود سلّم عليها وخلّيها تحاسبك!".

أ.أيمن جبارة